المعدية

قصة بقلم سيد جاد

« اللي يخاف من العفريت يطلع له » .. هكذا قالت ام حسونه لنفسها عندما وجدت حسونه يظهر فجاة في وسط الحجرة ، ويرقى ظله الطويل العريض الاسود على الحائط ، حاجبا ضوء اللمبة نمرة خمسة . منذ لحظة واحدة كانت هنا سميرة بنت الست زينب ومنحت ام حسونه جنيها اجرة الغسيل واكلافه .. واخشى ماكانت تخشاه ام حسونه ان يطب ابنها ويعرف ان معها فلوسا .. فهو لايشبع ابدا من الفلوس .. اذا شم رائحتها فلن يرتاح الا اذا اخذها وضيعها .. ترى هل عرف ان معها نقودا ؟. انه ينظر اليها بعينين زائغتين .. وتتابعت دقات قلبها في سرعة ..

ـ هاتي خمسة صاغ سلف .. حتخديهم كمان شويه ؟

ودهش حينما اعطته خمسة قروش في استسلام ، ودون ان تذكره بخيبته وبمصيبتها الثقيلة فيه .. ودون ان تنشب تلك المعركة الكلامية الحامية بينهما والتي تنتهي دائما بان تمنحه مايريد مع اللعنات ..

اخذ القروش الخمسة وخرج مسرعا .. ترى هل عرف ان معها جنيها كاملا الان ؟ لو كان يعرف لطلب منها اكثر من القروش الخمسة . ولكنه شيطان ولا بد انه رأى البنت وهي خارجة ، واحس انها منحت امه الفلوس ، وينتظر حتى يجيء الليل وتسهو فيلطش القرشين .. لعب القمار في عبها .. غلبت فيه .. عندما كان صغيرا حاولت ان تعلمه صنعة ما .. لكنه لم يفلح .. كان ياتي اليها اخر النهار ويقسم الا يذهب الى الدكان لان الاسطى يضربه بشدة كل ساعة .. والان وقد كبر اصبح عاطلا ولا يعرف مهنة معينة .. ووجهه يقطع الخميرة من البيت .. عندما اشتغل في الشركة ، ما ان قبض مرتبه شهرا ، وحمل اليها الفرحة بالجنيهات حتى اغلقت الشركة في الشهر التالي .. مصيبتها فيه ثقيلة. وكم قال لها : « انا نفسي اشتغل في شغلانة على طول واريحك من الشقا اللي انتي فيه ده » .. وكلما قال لها ذلك حن له قلبها .. ولكن الذي يحصل عكس ذلك ، فهو ياخذ منها الفلوس ـ رضيت او كرهت ـ ليلعب بها القمار في قهوة المعلم ابو سمره .. حاولت ان تصلحه .. اشترت له من المعمل حلوى وملبسا ، واتفقت معه على ان يقف ليبيعها على باب الحارة للعيال .. ووقف يبيعها يوما .. ويوما .. وفي اليوم الثالث ضاق بالحلوى والعيال والملاليم .. ولم يصبر على هذا العمل الممل .. وذات يوم جاءها باستيك ساعة ذهب وطلب منها ان تبيعه .. وخشيت ان يكون احترف السرقة وانضم الى الحرامية الذين يجلس معهم في القهوة ، لكنه اقسم لها انه لايسرق وان بندق صاحبه معذور وعايز يبيع الاستيك .. لكن كم لاحظت نقصا في نقودها .. دعت عليه كثيرا ، وتمنت موته .. لكن قلبها مع ذلك كان يدعو الله ان يهديه وترجو له ان يصبح رجلاكسيبا ومعلما معتبرا قد الدنيا ليريحها مما هي فيه من شقاء .. وليريحها من اوامر الست فلانه والست علانه .. وتحلم باليوم الذي تعدل فيه قامتها التي انحنت من طول قعدتها على طشت الغسيل .. اه سيسرق القرشين الليلة .. وجدت نفسها في النهاية تقوم وتلبس الملاءة وتقصر ضوء اللمبة الشاحبة الصفراء وقد نوت الذهاب الى اختها في الحارة المجاورة لتحتفظ معها بالفلوس خوفا من حسونة.

« ما ان تناول حسونه الخمسة قروش حتى توجه مباشرة نحو وكالة حمادة .. لم يشعر بشيء مما حوله .. الفكرة التي لمعت في راسه هي كل شيء بالنسبة له الان .. ودخل الوكالة .. عربات كثيرة ، عربات كارو وعربات يد ، مركونة في الحوش .. وتقدم نحو المعلم حماده ، وطلب منه ان يؤجر له عربة يد لمدة ساعتين فقط وناوله الخمسة قروش .. وما هي الا لحظات حتى خرج حسونه من الوكالة يدفع امامه عربة يد .. واندفع بها يخترق الشارع المزدحم بالناس ، وعجلتاها تقرقعان على الارض في جلبة وسرعة .. وقدماه الحافيتان تبرطمان وتلطمان اسفلت الشارع في لهفة .. « وسع ياجدع .. أوعى الاكس !! »

وسرعان ماوصل الى منتصف شارع معلوف باشا .. كانت هناك بركة كبيرة من المياه .. ارتفعت في هذا المكان حتى غطت الرصيفين .. وبضع لمبات كهربائية وكلوبات غارقة في المياه الرمادية القذرة .. ورائحة كريهة تتصاعد في المكان ..

لايكاد ينقضي يوم واخر حتى تنسد المجاري في نفس هذه البقعةحتى كاد الاهالي يالفون الامر .. ولا يتذكرون الا حينما يصبحون في منتصف الشارع فيسبون ويلعنون .. ويتحسسون بعيونهم طريقا على الرصيف بحيث لا تتبلل اقدامهم .. اما اليوم فقد زاد الامر عن حده ، وغطت المياه الرصيفين حتى اصبح من المستحيل ان يخترق احد الشارع دون ان يخوض في هذه المياه الموحلة .. وانقسم الشارع الى نصفين طويلين ، ولا سبيل الى الانتقال الى القسم الاخر الا ان يرجع السائر كل هذا الشارع الطويل ويقطع مشوارا حوالي خمس عشرة دقيقة حتى يجد نفسه في الناحية الاخرى من الشارع الرئيسي الموجود به البركة الملعونة !

وعندما وصل حسونه الى المكان بعربته كان لايزال الكثير من الناس ياتون ويقفون حائرين على حافة المياه ويمدون بصرهم املين عبثا ان يجدوا لهم طريقا عبر المياه .. وبعضهم كان قد سلم امره لله ورجع ..

ـ « أوعى ياجدع .. ياللا اللي عايز يعدي بقرش .. قرش واحد »

وركبت امرأتان بملايات لف .. وضحك ثلاثة شبان صغار وما لبثوا ان ركبوا هم ايضا بعد ان افترشوا على العربة جريدة كانت مع احدهم.. ركبني معاك يا حسونه .. خدني معاك والنبي ياحسونه .. ويقبض حسونة على العريشين بكفيه الغليظين ، ويروح يدفع العربة امامه في اتزان وقوة وبطء حريصا على الا تطرطش المياه على الجالسين فوق العربة .. وهكذا في كل مرة ثلاثة اربعة اشخاص .. وجيب حسونه يمتلىء بالقروش .. وركبت معه ام حنفي جارتهم العجوز .. وحاولت ان تعطيه قرشا ، فقال لها : « عيب يا خالتي ام حنفي » ولم يقبل ان ياخذ منها مليما واحدا فهي غلبانة وعلى قد حالها .. وشعر بشيء من السرور والزهو وهو يقول لها « احنا مالناش الا رضاكي ودعواتك». ودعت ام حنفي من قلبها ان « يخليك ياحسونه » ! وركب معه بعض الاصدقاء .. ياد ياحسونه يامجدع .. ده انت ولا اجدع حمار أهوه ..! هكذا راح يداعبه اهل الحي ، وينقلب الجو القاتم الذي كان يسود المكان الى قهقهات مجلجلة .. ويضحك هو معهم .. « غور ياجدع احسن حد يدلق مني في العتمة !! » .. قدماه المفلطحتان المشققتان تغوصان دون مبالاة وسط المياه والوحل وذيل جلبابه مشمر الى وسطه ..

الليلة باردة .. لكن حبات العرق بدأت تنزلق متلألئة على وجه حسونه وعلى صدره .. ويداه مستميتتان على يدي العربة ولكنهما اخذتا في الاهتزاز .. وشعر بالجوع .. لم يكن قد تناول طعاما منذ خطف لقمة فول مدمس في الساعة الحادية عشرة صباحا .. وهاهو بطنه يقرص الان .. لكن الفلوس واحساسه بان كل هؤلاء الناس ينتظرون منه ان ينقلهم .. اهل الحي يتطلعون في هذه اللحظة اليه هو ، حسونه ، الذي وجوده كعدمه ، كما تقول امه .. كل هذا يزغلل عينيه وينسيه قرصات الجوع والتعب .. « ياسلام ياحسونه يامجدع .. مافيش كويس اهو .. بس لو تشغل عقلك .. لكن حظك كده .. بس لو الواحد يلاقي الفرصة .. ؟ »

وظل حسونه يروح ويجيء بعربته وسط المياه .. والقروش تتدافع الى جيبه حتى اصفر وجهه وامتصه الجهد .. فانتهز فرصة عدم وجود احد سوى العيال الذين يعاكسون بعضهم بطرطشة المياه .. وسحب العربة نحو الوكالة .. وفي عينيه المرهقتين لاحت له دكان الحاج سعيد الكبابجي ورغيفان يتصاعد من داخلهما رائحة اللحم المشوي .. وأمه تأخذ احد الرغيفين .. ثم منظرها وهو يعطيها نصف ماكسبه وفرحتها حين تعلم ماعمله اليوم ..

القاهرة

سيد جاد